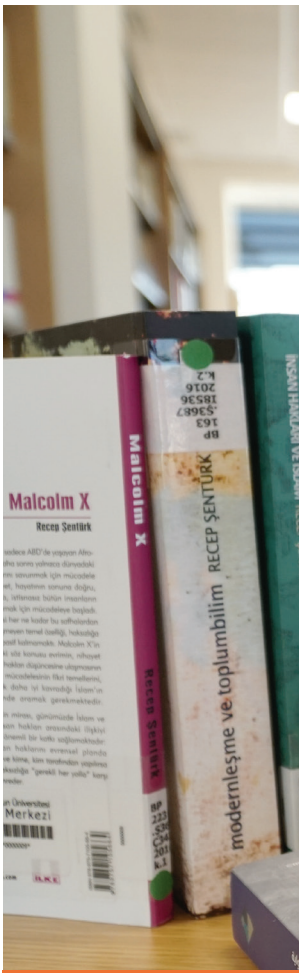

...فتحة

والحضارة المنفتحة بابها «العلم المنفتح» الذي يستند إلى الوجود والعلم والحقيقة والفهم المتعدد الطبقات. هذا الفهم هو الذي يجعل تصور تلك الحضارة المنفتحة ممكناً. ووجهة النظر هذه، تبين كيف يمكن للفهم الفكري متعدد الطبقات أن تتعايش في ظله مدارس مجموعات الخطاب المختلفة للدين والمذهب والطريقة والفكر معاً، وكيف يمكنه أن يحول دون تحوُّل الاختلافات الفكرية إلى صراعات سياسية واجتماعية من خلال تحليل الخطوط الأساسية لمقاربة الفكر الإسلامي وعلومها في تجاه الطبيعة والمجتمع واللغة.

وهنا بالضبط تبرز للوجود مرة أخرى أهمية علوم الحضارة الإسلامية التي يمكن أن ندعوها «بالعلوم العملية» أي علوم الفقه والتصوف (الفقه الباطن أو فقه الوجدان) لأن هذين العلمين يعكسان العالمية في القضايا النظرية والعملية على حدٍّ سواء. وعلى وجه الخصوص يقدم لنا مفهوم فقه أبي حنيفة الذي يستند إلى الأساس الآدمي (الإنساني) كإطار معياري يهدف إلى تنظيم علاقات الإنسانية كلها، دون الاقتصار على علاقات الأفراد المسلمين والمجتمعات الإسلامية فحسب. وكذلك يبرز التصوف الذي لم يكن ينفصل عن الفقه في البداية؛ قد اتخذ باطن سلوك الإنسان أي بُعْدَ النوايا والحياة القلبية موضوعاً له بمقاربة عالمية.

ويرى شانتورك أن الانفتاح للخارج لن يأتي إلا بتكامل البنيان الداخلي للحضارة، وذلك باقتران الفقه والتصوف- معاً.

يعيد شانتورك إذاً بناء ارتباط الحضارة بالفكر الإسلامي وتقاليده العلمية في مجالات فهم الوجود والمعرفة والمنهج والحقيقة، والخاصية الوظيفية للعلم المنفتح أو الفكر والخطاب متعدد الطبقات تكمن في أنها تستطيع الحفاظ على الأفكار المختلفة ومجموعات الخطاب التي تمثلها معاً دون انحدار الأفكار المختلفة إلى مستوى الصراع الاجتماعي والسياسي. وبعبارة أخرى، هي الوحدة في الكثرة التي تلخص فهم المسلم للتعددية. وعلى النقيض من ذلك، فإن مقاربة ما بعد الحداثة تقدم نموذج الكثرة البعيدة عن الأحادية لتشكل أساس التعددية.

وقد تجسدت مقاربة الكتاب في فهم الإسلام للعلوم في مجال الطبيعة والمجتمع واللغة، فالفكر الإسلامي وبنية الخطاب الذي أنتجه هذا الفكر متعدد الطبقات، والخاصية الوظيفية للعلم المنفتح أو الفكر والخطاب متعدد الطبقات تكمن في أنها تستطيع الحفاظ على الأفكار المختلفة ومجموعات الخطاب التي تمثلها معاً دون انحدار الأفكار المختلفة إلى مستوى الصراع الاجتماعي والسياسي.

ولا يَغفَل شانتورك عن تاريخ العلوم الإسلامية، ولا ينسى المقاربات الاستشراقية التي اختزلت العالم الإسلامي في تواريخ بعينها أو مدارس أو ممارسات، مشكلى الصورة الذهنية المنقوصة عن حضارة الإسلام.

إنَّ الحضارة المنفتحة تقدم نظاماً عالميًّاً يقوم على تعددية الحضارات التي تنتصر للوحدة في مستوى والكثرة في مستوى آخر، ليس فقط في الثقافة ولكن أيضاً في العلوم، فينتقل من العلوم المتعلقة بالفقه والتصوف ليدمج في فهم الإسلام تصورات المسلمين عن العلوم الاجتماعية (ابن خلدون نموذجاً) بل ورؤيتهم وإسهامهم في العلوم الطبيعية كذلك.

وهكذا، تحافظ الحضارات على خصائصها من جهة، وتلاحظ القواسم العالمية المشتركة في الأساس الآدمي مستنداً أساسياً للحياة المشتركة من جهة أخرى، وتقدم للعالم مخرجا من مأزقه التاريخي الراهن.

الأستاذ المساعد، عضو هيئة تدريس العلاقات الدولية والعلوم السياسية، جامعة اب

البنية الاجتماعية السردية: تشريح شبكة رواية الحديث النبوي (٦١٠-١٥٠٥م)، الكاتب رجب شانتورك؛ ترجمة صابر الحبشة. ٣٥١ صفحة
جسور للترجمة والنشر

من صراع الحضارات إلى الحضارة المنـ

ما زالت أصداء أطروحة صامويل هنتنجتون عن صراع الحضارات تتردد في بعض الدوائر العلمية والثقافية، بل وفي بعض السياسات الدولية والوطنية هنا وهناك.

فهل لا يوجد مخرج من صراع حقيقي تدور رحاه، ومن يملك أن يقدم رؤية للبشرية تخرج بها من ظلمات الجاهلية المعاصرة ومشهد القرون الوسطى العائد بقوة ليضرب دولا بأكملها ويقوض نظما إقليمية.

يقدم الأستاذ الدكتور رجب شانتورك الإجابة بوضوح: الإسلام قادر بتراثه ورؤيته العميقة المركبة للحضارة وللإنسان على تقديم مفهوم للحضارة التي لا تذوب في غيرها ولا تطغى على من عداها.

ويرى شانتورك أن الحضارات تمر اليوم بمنعطفين اثنين: (١) إن تشكل جديد لمصفوفة العلاقات بين الحضارات والعلاقات التي كانت تقتصر على الحضارات المتجاورة جغرافياً؛ تتسع اليوم لتشمل جميع الحضارات، وكل حضارة تتسلل اليوم وتحتك بالحضارات الأخرى في سبيل بناء علاقات معها. (٢) وأن الانتقال من عالم الحضارات فيه قائمةٌ على حدود جغرافية منفصلة؛ إلى عالم ذي مجتمعاتٍ متعددة الحضارات تحتل المكان الفيزيائي والاجتماعي نفسه، وتتمايز في ما بينها بحدود رمزية. وهذه المجتمعات هي الظاهرة التي يُطلق عليها "الحضارة المنفتحة".

تقوم الأطروحة الأساسية لهذا الكتاب على أن الإسلام، بسبب تبنّيه موقف الحضارة المنفتحة تجاه الحضارات الأخرى؛ يملك تراكماً فكريّاً وتجربة تاريخية تمكّنانه من تقديم حلول للأزمة القائمة حالياً بين الحضارات العالمية.

هبة رؤوف عزت

* عضو هيئة تدريس في قسم العلاقات الدولية والعلوم السياسية، جامعة ابن خلدون